الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيّاها أريدُ أن تقرِّر حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذه هي الأعمالُ الحسنةُ والنافعة* أمّا المباحثاتُ الهَذَيانيّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتنبْها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطلة* ورجلُ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنه* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتسفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبلُّوسُ فاجتهِدْ في تشييعهما متأهِّبَين لئلَّا

آباء المجمع المسكوني الرابع

نعيّد اليوم لآباء المجمع المسكونيّ الرابع الملتئم في مدينة خلقيدونية، عام ٤٥١. حدّد الآباء في هذا المجمع، بإلهام من الروح القدس، العقيدة المختصّة بشخص المسيح الواحد الأزليّ، وبطبيعتيه الإثنتين المتّحدَتين «من دون اختلاط أو تبدّل أو انقسام أو انفصال»، فشهدوا أنّ كلمة الله وابنه الوحيد، باتّخاذه طبيعة الأنام، خلّص آدم وحوّاء وكلّ ذريّتهما، وفتح لنا باب الفردوس وأعادنا إلى أحضان الآب السماويّ.

بدأت أعمال المجمع المسكونيّ الرابع في ٨ تشرين الأوّل ٤٥١، في كنيسة القدّيسة إفّيميّة في خلقدونية. بدايةً، حضر ٥٢٠ أسقفًا، لكن مع أواخر المجمع بلغ عدد الأساقفة المجتمعين ٦٠٠. أرسل بابا روما مطرانين وكاهنين ممثّلين له، ثمّ ألحقهم، فيما بعد، بأسقف آخر. حضر أيضًا أسقفان أفريقيّان ممّن تشرّدوا بسبب غزوات الفندال على أفريقيا الشماليّة. عدا عن الأساقفة، ضمّ المجمع ستّة ممثّلين للإمبراطور وستّة محكّمين حضروا شكليًّا من أجل الإجراءات الرسميّة. ترأّس ممثّلو البابا المجمع الذي بلغ عدد جلساته سبع عشرة جلسة.

شهد آباء المجمع أنّ قلب البشارة في العهد الجديد يقوم على سرّ تجسّد الكلمة. لم يفلح آدم الأوّل في تحقيق الوظيفة أو الدَّور الذي أُنيط به، فما تمكّن من بلوغ التألّه واقتياد كلّ الخليقة الحسّيّة إلى الله. بعد الخطيئة، أُقفِلَ باب التألّه أمامه. كلّ ما فشل آدم القديم في تحقيقه، يبشّرنا الإنجيل بأنّ آدم الجديد أكمله. نقرأ في إنجيل يوحنّا: «الكلمة صار جسدًا، وحلّ بيننا ورأينا مجده مجد وحيد للآب مملوءًا نعمة وحقًّا» (١: ١٤)؛ هذا الكلمة الصائر جسدًا يقول على الصليب: «قد أُكمِل» (١٩: ٣٠). الكلمة–المسيح أصبح الطريق الذي ينبغي للإنسان سلوكه.

هذا الطريق، الذي هو، بالنسبة إلى الإنسان، إرتقاءٌ إلى السموات، كان بالنسبة إلى المسيح تنازلًا، وافتقارًا، وإفراغًا للذّات. عندما حضر آدم

العدد ٢٠١٩/٢٨

الأحد ١٤ تموز

آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكار الرسول أكيلا ونيقوديموس ويوسف التسالونيكي

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الرابع

الثاني إلى الأرض، قليلون قبلوه. يقول بولس الرسول إنّه كان «عثارًا لليهود وجهالة لليونانيّين» (١كو ١: ٢٣). عندما سأله قيافا: «هل أنتَ المسيح ابن المبارك؟»، أجابه الربّ يسوع: «أنا هو». نفهم من ردّة فعل قيافا، حين مزّق ثيابه، أنّ الإجابة كانت جسيمة ومعثرة كبرى لليهود. أمّا لليونانيّين فكانت جهالة، بسبب عدم إمكانهم القبول بأنّ الإله الفائق المعرفة وغير المنظور وغير المدرك، الكليّ القدرة والعلم، يتّخذ جسدًا وصورةَ المائت الضعيف والمتألّم، ويولد من امرأة... كلّ هذه الأمور بدت عبثيّة في أعين اليونانيّين. ذلك أنّ المسيح يُستَعلَن لنا فقط عندما نصدّق إنجيلَه ونؤمن أنّه استعلان الحقيقة الإلهيّة.

لا يخضع الإنجيل لمنطق بشريّ، بل هو سرٌّ وأعجوبةٌ في ذاته. تشهد أسفار الإنجيل لألوهة المسيح، كما تشهد لوجود الملائكة والشياطين، وتضع العقل البشريّ أمام خيار من إثنين: إمّا الإيمان، عبر الخضوع للوحي الفائق العقل، والذي هو إلهيّ، أو، بكلّ بساطة، إغلاق الكتاب طالما أنّه يباين المنطق العامّ. هكذا، منذ بداية الإنجيل، نتعلّم عن البشارة والميلاد وتجارب الربّ... وغير ذلك من الأحداث العجائبيّة. يستعلن المسيح، منذ الصفحات الأولى، إلهًا وإنسانًا معًا. كلّ أقواله وأفعاله، مع كونها بشريّة، إلّا أنّها تحمل ختم الألوهة. هناك دومًا علامات فارقة ترافق المسيح، من قَبْل ميلاده، وطيلة مسيرته، ثمّ بعد قيامته.

هذا وتعود جذور العقيدة المسيحيّة إلى الظهورات الإلهيّة في العهد القديم التي، من خلالها، يُظهِر كلمة الله غير المتجسّد مجدَ الثالوث القدّوس، ويحرّك تاريخ الشعب المختار. يعاين أعضاء الكنيسة اليوم مجد هذا الكلمة نفسه، مجده الثالوثيّ والمثلّث الضياء. هذا المجد الذي عاينه بطاركة العهد القديم بحضوره وظهوره غير المتجسّد، تعاينه الكنيسة عبر التجسّد، وفي الجسد. الكلمة نفسه يُظهر في تجسّده مجدَ الثالوث القدّوس ويهب العالم الحياة والخلاص. يشدّد التقليد الأرثوذكسيّ اللاهوتيّ دائمًا على ظهور المجد الإلهيّ عبر الاستنارة الروحيّة، أي في استعلان المسيح. لذلك، كان أساس دستور الإيمان ظهور الكلمة للكنيسة والاستنارة بالروح القدس.

يظهر دور الروح القدس في الإعلان الإلهيّ واضحًا في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (٣: ١٦)، حيث يدلّنا النصّ على أنّ عقيدة الطبيعتَين في المسيح هي ثمرة خبرة معاشة ولها جذور تاريخيّة. هذه الجذور التاريخيّة ضاربَة في القِدَم، وتتحقّق وتتبلور في حياة الجماعة المسيحيّة الأولى كعَيش لاستعلان الكلمة ولمجد تجلّيه، أي لإعلان خلاصه: «الآن أطلق عبدك أيها السيّد على حسب قولك بسلام فإنّ عينَيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام وجه كلّ الشعوب، نورًا لاستعلان الأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل» (لو ٢: ٢٩-٣١).

هذا الخلاص هو اشتراك ومعرفة، وتذوّق ومعاينة، وخبرة معاشة. إنطلاقًا من هذه الخبرة وعيشها، تكلّم آباؤنا القدّيسون وشهدوا للعقيدة المسيحيّة الحيّة. يحقّق المسيح إظهار المجد الإلهيّ الثالوثيّ، وإنارة المؤمنين بالروح القدس، وتجلّي الخليقة عبر جسده البشريّ الممتلئ نعمةً وألوهة. بهذا

يُعوِزهما شيءٌ* وليتعلَّمْ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيَر مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذين معي* سلِّم على الذين يُحبُّونا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ١٤-١٩)

قال الربُّ لتلاميذه أنتم نورُ العالم. لا يمكن أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبلٍ* ولا يُوقَدُ سِراجٌ ويوضعُ تحت المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميعِ الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناسِ ليَرَوْا أعمالكم الصالحة ويُمجّدوا أباكم الذين في السموات. لا تظنُّوا أنّي أتيتُ لأحلّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمِّم* الحقَّ أقول لكم إنَّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقطةٌ واحدةٌ

من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويُعلِّمُ الناسَ هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلِّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

«رجل البدعة بعد الإنذار مرّة وأخرى أعرِض عنه».

كما أنّكم، عندما تزيّفون السِّمة نوعًا ما في النقود الملكيّة تكونون قد زوّرتم القطعة بكاملها، كذلك الذي يعرّض إيمانه للإصابة في أقلّ جزء منه إنّما يزعزعه بالكامل، ما سيجعله يمضي قُدُمًا في الإنحراف. أين هم الذين يتّهمونا بحبّ النزاعات من جرّاء مجادلاتنا مع الهراطقة؟ أين هم الذين لا يقبلون بأيّ اختلافٍ حقيقيّ في ما بينهم وبيننا ويدّعون أنّ الأمر كلّه مسألةُ طموحٍ شخصيّ؟ فليسمعوا بولس إذًا وهو يعلن أنّ الإنجيل يُقلب ببدعةٍ ولو صغيرة (غل ١: ٧).

... إنّه لبرهانٌ عن تقوًى نعرف المحبّة والوحدة والشركة الكائنة في الثالوث القدّوس، التي تحضر لتنعكس عبر النعمة في الخليقة، فتصبح لدينا «خليقة جديدة» وواقع إجتماعيّ جديد.

أُعلِنَت، في المسيح يسوع، حياة الثالوث القدّوس بشكل ملموس في التاريخ الإنسانيّ. لم يتوقّف الأمر على الظهورات الإلهيّة في العهد القديم، لأنّ الكلمة المتجسّد هو حضور تاريخيّ حقيقيّ، وهو يهب المؤمنين، بحسب القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ «العيش الحقّ». هذا الإرتباط بين «العيش الحقّ» وتجسّد المسيح هو الضمانة الوحيدة لخلاص الإنسان. حرص المسيحيّون على التمسّك بهذا الأمر منذ بداية عهد المسيحيّة، وعرفوا أنّ السبيل الوحيد للإندماج في هذا «العيش الحقّ» هو سرّ المعموديّة الذي هو ارتباطهم الحقيقيّ بجسد المسيح، الذي يستمرّ في الكنيسة عبر التاريخ، والذي هو اشتراك في نور الثالوث القدّوس وحياته السرمديّة.

غيرة النبيّ إيليّا

المسيحيّ هو مَن لبس المسيح في جرن المعموديّة، هو مَن اصطبغ بموت المسيح، كما يقول الرسول بولس في الرسالة التي تقرأها الكنيسة في خدمة المعموديّة. إذًا، المسيحيّ ليس مَن يسكر بمجدٍ أرضيّ باطل أو يتفاخر بمجدٍ إجتماعيّ، بل هو الذي يُخضع ذاته للّه كي يصير إلى مجدٍ إلهيّ يستحقّه. يضع المسيحيّ هدفًا يبتغي الوصول إليه، وهو ما نطلب في كلّ صلواتنا: «لنودع ذواتنا وبعضنا بعضًا وكلّ حياتنا للمسيح الإله».

إذًا، المسيحيّة تضحيةٌ وبذلٌ ليكون مَن يتّبعها سائرًا على الدرب الصحيح، أي أن ينقّي ذاته مُميتًا رغباته وألّا يخاف الموت الجسديّ، والأهمّ أن تكون لديه غيرةٌ على الجسد الذي ائتمنه الله عليه، كون هذا الجسد هو هيكل الروح القدس.

كثُرت النقمات والإعتراضات في زماننا الحاضر، فغدونا نشعر بأنّ الله غائبٌ عن حياتنا، وأنّنا متروكون وسط هذا العالم وصعابه وضوضائه. نشعر «أنّنا نُمات النهار كلّه» (رو ٨: ٣٦)، ليس لكي ننال الخبز الجوهريّ، بل الخبز الفاني فنحافظ بذلك على جسدنا وننسى روحنا. على الإنسان أن يجتهد في هذا العالم، ويعمل من دون انقطاع، غير خاضع لأحكام العالم الساقط، من أجل بلوغ الحياة الأبديّة، حيث لا وجعَ ولا حزنَ ولا تنهّد، بل حياةٌ لا تفنى.

السؤال الذي يطرح نفسه: هل الله غائبٌ فعلًا عن حياتنا أم نحن نغيِّبُه بأفعالنا؟ لا بدّ من طرح هذا السؤال على أنفسنا قبل إلقاء اللّوم على الله أو على أيٍّ من إخوتنا البشر. هل نتصرّف تجاه الله كأبناء أوفياء أو عصاة؟ هل نتكلّم مع الله من خلال الصلاة لكي نبني علاقةً سليمةً معه أم نتذكّره فقط في الشدائد؟ هل نحيا معه ونجعله حاضرًا في كلّ تفاصيل حياتنا؟ إذًا، ليست المشكلة من جهة الله، حاشا، ولا في الطبيعة أو المجتمع ككلّ، إنّما المشكلة هي في الذات الإنسانية. إنّها تضاؤل نور الشعلة التي اكتسبها الإنسان في المعموديّة، والتي كان من المفترض أن يحافظ عليها المؤمن مشتعلة لتُلهب قلبه فيحيا دائمًا مع الله. ومثلما تبحث العلوم الإجتماعيّة عن مكامن المشاكل

لدى الإنسان من أجل إيجاد حلّ مناسب، كذلك على الإنسان أن يبحث عن مكامن الخلل في ذاته حتى يصلحه.

نعيّد لتذكار النبيّ إيليّا التسبيتيّ الغيور (٢٠ تموز)، كمثالٍ يُحتذى في الحياة الروحيّة. يحتاج إنسان اليوم إلى الغيرة التي ألهبت قلب إيليّا النبيّ لكي يعيد إيقاد الشعلة التي في داخله. عندما كان النبيّ حاملًا الإله في قلبه، قرونًا قبل تأسيس سرّ المعموديّة وحلول الروح القدس في العنصرة، إشتعلت الغيرة في قلبه بسُكنى الروح الإلهيّ. فقد تحلّى بالعشق الإلهيّ جاعلًا قلبه مسكنًا لله، ومفضّلًا إيّاه على مفاخر الدنيا والإمتيازات التي قد ينالها من الملوك الأرضيّين. واجه السلطات الأرضيّة بصلابةٍ، غير مساوم على محبّة الله، ولا على ثقته التّامّة بأنّ الله قادرٌ على تدبير أموره. كان على ثقة بأنَّ «للربّ الأرض بكمالها» (مز ٢٤: ١)، وبأنّه قادرٌ على كلّ شيء. لم يَخَف حياة الفقر، بل وضع كامل ثقته بقدرة الله وحنانه، عالِمًا أنّ الله لا يبخل على خليقته، هو الذي يُشبع طيور السماء (مت ٦: ٢٦).

غيرة النبيّ إيليّا تنقص مجتمعاتِنا اليوم. الصلاح هو في أن نُلقي بأحمالِنا وأتعابنا أمام الله، لا أن نلومه بسبب همومنا. لم يَلُم النبيّ إيليّا الله ولا اختار الزمان الذي يناسبه هو كي يبني علاقته مع الربّ، إنّما أسلم ذاته بين يديّ اللّه، الأمر الذي حرّك الغيرة في قلبه كونه أصبح مسكنًا إلهيًّا. علينا ألّا نحابي أحدًا، أو نضع إيماننا جانبًا لكي نكسب ماديًّا أو إجتماعيًّا، بل أن نتشبّث بإيماننا كلَّ حينٍ واثقين بالله. أصبحت مرتبة الله ثانويّة في حياتنا، في حين يجب أن تكون في الطليعة. غيرةٌ كهذه تجعلنا نتخطّى كلّ مصاعب الحياة فتكون كالهباء المتناثر.

حين أخرج الله آدم وحوّاء من الفردوس، وضعهما مقابل «عدن» كي لا ينسيا النعيم الذي كانا فيه، أي كي لا ينسيا الله ويحوّلاه إلى أمرٍ ثانويّ في حياتهما. إلّا أنّ الإنسان يختار طريق الظلمة السَّهل، فيبتعد عن الله. الله لا يبادل الإنسان الذي يجحده المشاعر نفسها، إنّما لا ينفكّ معتنيًا بِمَن خلقهم حتّى يجعل منهم قدّيسين على مثال إيليّا النبيّ الغيور. هل نحتاج إيليّا آخر لنعود إلى الله؟ لا، بل علينا التمثُّل بسيرته وغيرته حتّى تنمو ذواتنا، وتُثمر، لنكون أبناءً مستحقّين للمجد المُعَدّ لنا. فَلنَتَحَلَّ بالغيرة التي تعلِّمنا التمييز بين المجد الأرضيّ الزائل والمجد الأبديّ الذي وعد الله شعبَه به، وهكذا تكون لنا الحياة إذا آمنّا باسمه (يو ٢٠: ٣١).

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس التسبيتي تُقام خدمة صلاة الغروب عند السابعة من مساء الجمعة ١٩ تموز في كنيسة دير مار الياس بطينا، وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح السبت ٢٠ تموز في كنيسة مار الياس ــ المصيطبة.

يستقبل سيادته المهنئين يوم السبت في ٢٠ تموز ٢٠١٩ بين السادسة والثامنة مساءً.

عظيمةٍ أن تُكشف خُلوات الكفرة وأن يحارَب فيهم الشيطانُ الذي يخدمونه. ثمّ ينبغي على الأرض بأسرها، وعلى الكنيسة كلّها المنتشرة في كلّ مكان أن تُمسك بأسلحة الإيمان ضدّهم. ينبغي تحاشيهم لئلاّ يتمكّنوا من إيذاء أحد. ينبغي تسليمهم لئلاّ يتمكّنوا من البقاء في أيّ مكانٍ من مدينتنا.

يدرك هؤلاء الأعداء المبتغون إهلاكنا إدراكًا جيّدًا أن كلّ ما نحاول القيام به لأجل خلاصنا إنّما يُقام به ضدّهم، بل ولمجرّد رغبتنا في خيرٍ ما، نتحدّى خصمنا. ثمّة بينهم وبيننا تعارضٌ متأصّل أثاره الحسد الشيطاني، بحيث أنّ تبريرنا يعذّبهم وقد سقطوا هم من تلك الخيرات التي إليها ترفعنا نعمةُ الله. إذًا هم ينهارون عندما ننهض نحن، ويفقدون قواهم عندما نستعيد قوانا. أدويتنا ضرباتٌ لهم، لأنّ شفاء جراحنا يجرحهم.

القديس لاون الكبير